جمع القرآن الكريم بين المنظور الإسلامي والمنظور الاستشراقي

م. م. فارعة عبد العزيز علي*

ملخص البحث

عُني المستشرقون بدراسة الإسلام عامة، والقرآن خاصة، بوصفه مصدر التشريع والأصل الذي يستند إليه المسلمون، وكان مبحث جمع القرآن الكريم ميدانا رحبا لدراساتهم وأبحاثهم، فحاولوا بكل ما استطاعوا أن يصطنعوا ثغرات في كتاب الله تعالى، علَّهم يصلون من خلالها إلى أهدافهم المنشودة، إلّا ما رحم ربي من المنصفين.

اعتمد المستشرقون في دراساتهم المنهج التاريخي الذي طبقوه على الكتب المقدسة التي سبقت القرآن الكريم، إلّا أنَّ ذلك المنهج لا ينطبق على القرآن، من حيث كونه كتاب عقيدة وشريعة نزل لتنظيم حياة البشرية جمعاء، فكان بذلك صالحا لكل زمان ومكان على خلاف الكتب التي سبقته، وقد تم جمعه ليظل سالما من أن تطاله يد التحريف؛ تحقيقا لتلك الغاية التي نزل من أجلها.

Abstract

The Orientalists were concerned with the study of Islam in general, and the Qur'an in particular, as it is the source of legislation and the origin on which Muslims rely. The topic of collecting the Noble Qur'an was a broad field for their studies and research, So they tried as much as they

* مديريبة تربية نينوى.

could to create loopholes in the Book of God Almighty, hoping that they would reach through them to their desired goals, except fair people.

The orientalists adopted in their studies the historical method that they applied to the sacred books, that preceded the Noble Qur'an, But that approach does not apply to the Qur'an, Because it is a book of doctrine and law that was revealed to organize the life of all mankind, so it was valid for every time and place, unlike the holy books that preceded it. The Noble Qur'an was collected to remain safe from distortion to achieve that end for which it descended.

المقدمة

خصَّ المستشرقون مبحث جمع القرآن بدراساتهم؛ علَّه يعينهم على التشكيك في أزلية النص القرآني، وأنَّ الذي بين أيدينا قد تدخلت فيه يد إنسان بالتغيير والتبديل، إلّا أنّ الله قد أثبت لنا الحق في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾،[١] فهيّأ له من أسباب الحفظ ما لم يهيئه للكتب التي سبقته، لحكمة بالغة تكمن في أنه الكتاب الخاتم.

وقد يقول قائل: إنَّ ما توصَّل إليه المستشرقون قد مرَّ عليه زمن طويل، ولا أهمية لدراسته في وقتنا المعاصر، لا سيّما وأنَّ المسلمين يعانون ما يعانونه من مشكلات أولى بالدراسة مما قاله المستشرقون. إنَّ ما قاله المستشرقون يُعدُّ الركيزة الأساسية التي يستند إليها أكثر دعاة التجديد والعقلانية والحداثة، حيث تبنّى هؤلاء –وهم ينتمون إلى الإسلام– أفكار المستشرقين، وحاولوا تسويغها والترويج لها بدعوى أنّهم يدافعون عن الإسلام بمنهج عقليٍّ سديد، يهدف إلى فهم جديد معاصر لكتاب الله تعالى. من أجل ذلك جاء هذا البحث ردًّا على الشبهات التي أثارها المستشرقون للتشكيك في دقة جمع القرآن الكريم.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

ولغرض عرض شبهات المستشرقين عن جمع القرآن ينبغي أن نعلم أنّ الجمع جمعان: جمع في الصدور حفظًا على عهد النبي ﷺ، وهو ما حواه المبحث الأول، وجمع في السطور مفرَّقًا على عهده ، ومكتوبًا بين دفّتينِ على عهدِ أبي بكر الصديق ، وعلى عهد عثمان بن عفان ، وتفصيل ذلك في المبحث الثاني، بينما عرضت في المبحث الثالث قسما من شبهات المستشرقين ثم جاء الرد عليها من خلال الآيات والأحاديث الصحيحة أو الحسنة.

المبحث الأول: جمع القرآن محفوظًا في الصدور

إنّ حفظ القرآن الكريم في الصدور ميزة اختصّ بها الله ﷻ أمّة محمد ﷺ الأُمّية تحقيقًا لوعده الحق بحفظ كتابه من التغيير والتبديل، وهذا ما أكّده ابن الجزريّ –رحمه الله تعالى– بقوله: " إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط المصاحف والكتب، أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة".(١)

جعل الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن يسيرًا على من أراد ذلك وابتغى به وجهه، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.(٢) قال القرطبي –رحمه الله تعالى–: " أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ... وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن".(٣) ونحن نرى ذلك عيانا، فبعد مرور ما يزيد على أربعة عشر قرنا على نزول القرآن، هناك من يحفظه حفظًا متقنًا من الناطقين بالعربية ومن غيرهم، وما ذلك إلا بتيسير الله وفضله على المسلمين.

---

(١) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠هـ)، ط: المطبعة التجارية الكبرى، ٦/١.

(٢) سورة القمر: الآيات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:٢، دار الكتب المصرية–القاهرة، ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م: ١٣٤/١٧.

وحثَّ النبي ﷺ في أحاديث نبوية كثيرة على حفظ القرآن الكريم وبيّن جزيل الأجر المترتب على ذلك، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم أهل القرآن، هم أهل الله وخاصّته".(١)

وقد بيّن الرسول ﷺ عظم منزلة حفظة القرآن، فجعلهم مع الملائكة في قوله : " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ وهو عليه شديد فله أجران اثنان".(٢) فلم يحرم النبي ﷺ غير الماهرين، بل جعل لهم أجرين؛ حثًّا لهم على الإقبال على كتاب الله تعالى لنيل هذا الشرف العظيم.

وكان رسول الله ﷺ يرسل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لتعليم القرآن، إذ أرسل مصعب بن عمير لتعليم أهل المدينة،(٣) وترك معاذ بن جبل في مكة بعد فتحها ليعلِّم أهلها القرآن، ويفقِّههم في الدين. (٤)

قال الباقلاني –رحمه الله تعالى– واصفًا علاقة الصحابة الكرام بكتاب الله: " وأنّ الصدر الأول ثم من بعدهم من التابعين والمسلمين وقادتهم وحكامهم وفقهائهم في سائر الأعصار كانوا على حالةٍ معروفةٍ من تعظيم شأن القرآن وإجلاله، وعظم محلّه من قلوبهم، وقدره في نفوسهم، والتقرّب إلى الله بتعلُّمه وتعليمه، وتحصيل أعظم الثواب والشرف بحفظه".(٥) فالصحابة رضوان الله

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه من حديث أنس بن مالك ﷺ، باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه، (٢١٥)، في الزوائد بإسناد صحيح. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية: ٧٨/١.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه من حديث عائشة ا، باب: الترتيل في القرآن، (٤١٩٤)، وباب: تعليم القرآن وفضله، (٦٠١٦). المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط:٢، المجلس العلمي–الهند، ١٤٠٣هـ: ٤٩١/٢، ٣٧٥/٣؛ وابن ماجة في سننه، باب: ثواب القرآن، (٣٧٧٩): ١٢٤٢/٢.

(٣) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، ط:١، دار الهلال–بيروت: ١٣٠.

(٤) يُنظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م: ٤٤٧/١.

(٥) الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، ط:١، دار الفتح–عَمَّان، دار ابن حزم–بيروت، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م: ٧٣/١–٧٤.

عليهم لم يحفظوا القرآن على أنّه كلام ينبغي عليهم أن يحفظوه فحسب، بل عملوا بكل كلمة منه، فكان دستورهم الذي دأبوا على تطبيقه في كلّ تفاصيل حياتهم، يشهد لذلك ما قاله ابن مسعود : " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن ".[١]

هكذا كان الرعيل الأول، حفظ الكثير منهم القرآن قولا وعملا، فاختارهم الله لصحبة المصطفى ﷺ.

المبحث الثاني: جمع القرآن الكريم مكتوبًا في السطور

مر جمع القرآن مكتوبا بثلاث مراحل، كانت الأولى في حياة النبيﷺ، والثانية في خلافة أبي بكر الصديق ، والثالثة والأخيرة في خلافة عثمان بن عفان . وفيما يلي تفصيل لكل مرحلة من تلك المراحل الثلاث.

المطلب الأول: كتابة القرآن في حياة النبي ﷺ

نزل القرآن الكريم مفرّقا على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكان النبي

يعي ويحفظ كل ما يتلوه عليه الروح الأمين جبريل عليه السلام، حتى إذا فرغ من ذلك علَّمه أصحابَه رضوان الله عليهم أجمعين، ثم أمرهم أن يكتبوه بما كان متيسِّرا في ذلك الحين، كالرِّقاع (جمع رقعة، القطعة من الورق أو الجلد)[٢]، واللُّخُف (جمع لَخفة: وهي حجارةٌ بيضٌ رِقاقٌ)[٣]، والعسب (وأحدها عسيب، وهو سعف النخل، وأهل الحجاز يسمونه الجريد أيضًا)[٤]، والكرانيف (أصول السعف الغلاظ، الوأحدة كرنافة)[٥]، والأقتاب (القَتَبُ: الإكاف الصغير الذي على قدر سِنام

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م: ١/٨٠، ٨٩.

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ط:٢، دار النفائس، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٢٢٥.

(٣) غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، ط:١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية-القاهرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ١٧٧/٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الجراثيم، يُنسَب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، ط: وزارة الثقافة-دمشق: ٧٢/٢.

سِنام البعير)[١]، والأكتاف (الكَتِفُ: عظم عريض خلف المنكب)[٢]، وقطع الأديم (الجلد المدبوغ والجمع أَدَم)[٣]. وقد بلغ عدد الكتبة آنذاك نيّفا وأربعين كاتبا،[٤] وكان رسول الله أول نزول الوحي يمنع كتابة غير القرآن (السنة)؛ مخافة اختلاطها بالقرآن، حيث قال: " لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، من كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه".[٥] وكان شديد الحرص على مراجعة ما كُتِبَ من القرآن بعد فراغ الكتبة منه. قال زيد بن ثابت : " كنت أكتب الوحي عند رسول الله ، وكان يشتدّ نَفَسه ويعرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم يُسَرّى عنه فأكتب وهو يُملي عليَّ، فما أفرغ حتى يثقل، فإذا فرغت قال: اقرأْهُ، فأقرأَهُ، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس".[٦]

اتخذ النبي كتابا للوحي فيهم الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، وأبان بن سعيد بن العاص، و وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية ومعاذ بن جبل، وأرقم بن أبي الأرقم، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن سعيد بن العاص، وخالد بن الوليد والزبير بن العوام، وعبد الله بن سعد بن أبي

---

(١) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط:١، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م: ٢٠٩/٢.

(٢) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال–بيروت: ٣٣٩/٥.

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ)، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط:١، مكتبة السنة–القاهرة، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م: ٤٢٧.

(٤) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م: ٢٠٧/١.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد الخدري، باب: في توقير العالم، (٤٣٧)، هذا حديث صحيح صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

(٦) أخرجه الطبراني، (٤٨٨٩). المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط:٢، مكتبة ابن تيمية–القاهرة: ١٤٢/٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي–القاهرة، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م: ٢٥٧/٨.

سرح، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أرقم، وعبد الله بن زيد، والعلاء بن الحضرمي، ومحمد بن مسلمة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة م أجمعين.(١). قال السيوطي –رحمه الله تعالى– : "وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله لكن غير مجموع في موضع وأحد ولا مرتب السور".(٢)

إذن لم يُتوفَّ الرسول إلّا والقرآن الكريم من أوله إلى آخره مجموع في الصدور فضلا عن السطور. وقد عارض جبريل عليه السلام النبي مرتين بالقرآن في عام الوفاة، بينما كان يعارضه في ما قبلها مرة وأحدة، لكن القرآن لم يكن بين دفتين، بل توفي رسول الله والقرآن مفرق فيما تيسر، ومحفوظ في بيوت أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، أو كتبة الوحي، كما كان لبعض الصحابة مصاحفهم الخاصة بهم، فكانت تلك الصحائف المتفرقة أول جمع للقرآن في حياة رسول الله .

المطلب الثاني: جمع القرآن الكريم على عهد أبي بكر الصديق ﷺ

ارتدّ جمع من الناس عن الإسلام بعد وفاة النبي ، فقامت حروب الردة (١٢هـ–٦٣٢م) بقيادة أبي بكر الصديق ، وقُتِل فيها الكثير من الحفّاظ؛ لذا أشار عمر بن الخطاب على الصديق بجمع القرآن الكريم خشية ضياعه بضياع حفّاظه، لا سيما وأن حادثة بئر معونة التي وقعت في حياة النبي كانت قد أودت بسبعين منهم. لم يتقبّل الصديق الفكرة أول الأمر حين طرحها عليه عمر بن الخطاب ﷺ؛ مخافة أن يُقدم على فعل شيء لم يفعله رسول الله ، ثم ما لبث أن شرح الله صدره لذلك فأرسل إلى زيد بن ثابت بوصفه أحد كتبة الوحي في حياة النبي ، فتردّد أول الأمر ثم شرح الله صدره، فأعلن هو وعمر ما الأمر للصحابة، ودعوَا كل من كان عنده شيء من القرآن إلى الإتيان به. وقد روى زيد بن ثابت ذلك قائلا: " أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر

(١) يُنظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:١، دار هجر–الجيزة، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م: ٨/٣٢١–٣٣٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ١/٢٠٢.

يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، فتتبع القرآن فاجمعه. فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر م".[٢]

قال الزركشي: " وفي هذه إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص، والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، وكتبوه كما سمعوه من النبي من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، وهذا الترتيب كان منه بتوقيف لهم على ذلك، وأن هذه الآية عقب تلك الآية، فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع وأحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن، أنزله الله جملة وأحدة إلى سماء الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .[٣] وقال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾،[٤] ثم كان ينزل مفرقا على رسول الله ﷺ مدة حياته عند الحاجة كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾،[٥] فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري، باب جمع القرآن، (٤٩٨٦). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ: ١٨٣/٦.

(٣) سورة البقرة: من الآية ١٨٥.

(٤) سورة القدر: الآية ١.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

لبقاء القرآن في الأمة ورحمة من الله على عباده وتسهيلا وتحقيقا لوعده تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾،[١] وزال بذلك الاختلاف واتفقت الكلمة ".[٢]

امتاز هذا الجمع بأنَّه مكتوب كله مرتب الآيات دون السور، واقتصر على ما لم تُنسَخ تلاوته، واشتمل على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو جمع متواتر على أدق وجوه التحرّي والبحث العلمي، فنال بذلك إجماع الأمّة.

يقول د. صبحي الصالح: " وقد تم لأبي بكر جمع القرآن كله خلال سنة وأحدة تقريبا، لأن أمره زيدا بجمعه كان بعد واقعة اليمامة، وقد حصل الجمع بين هذه الواقعة ووفاة أبي بكر ، وحين نتذكر كيف جمع هذا القرآن من الرقاع والعسب واللخاف والأقتاب والجلود في هذه المدة القصيرة، لا يسعنا إلا أن نكبر عزيمة الصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله، ولا يسعنا إلا أن نقول مع علي بن أبي طالب : "رحم الله أبا بكر، هو أول من جمع بين اللوحين".[٣] أما عمر فقد سجل له التاريخ أنه صاحب الفكرة، كما سجل لزيد أنه وضعها موضع التنفيذ".[٤]

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م: ١/٢٣٦-٢٣٧.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب: ﷺ القرآن. وإسناده حسن. المصاحف، أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، ط:١، الفاروق الحديثة-القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٤٨.

(٤) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط:٢٤، دار العلم للملايين-لبنان، ٢٠٠٠م: ٧٧؛ ويُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط:١، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ١/٢٠٧.

المطلب الثالث: جمع القرآن (نسخه على حرف وأحد) على عهد عثمان بن عفان ﷺ

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجا، وكان لا بدّ لهؤلاء الداخلين أن يتعلّموا القرآن، فقام معلّمو القرآن بهذه المهمة على أكمل وجه، إلّا أنّ نزول القرآن على سبعة أحرف جعل كل معلّم يقرئ تلاميذه على الوجه الذي تعلّمه، حتى إذا التقى التلاميذ اختصموا فيما بينهم وخطّأ بعضهم بعضا، بل ورمى بعضهم بعضا بالكفر.

روى أنس بن مالك ﷺ أن حذيفة بن اليمان ﷺ قدم على عثمان ﷺ وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق".[١]

قال الزركشي: " والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه وأحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات والقرآن، وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن. فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق . ولم يحتج الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى جمعه على وجه ما جمعه عثمان؛ لأنه لم يحدث في أيامهما من الخلاف فيه ما حدث في زمن عثمان، ولقد وُفِّق لأمر عظيم ورفع الاختلاف وجمع الكلمة وأراح الأمة ".[٢]

---

(١) أخرجه البخاري، باب جمع القرآن، (٤٩٨٧): ١٨٣/٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٩/١.

قال أبو عمرو: " أكثر العلماء على إن عثمان بن عفان لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بوأحدة منهن، فوجّه إلى الكوفة أحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وامسك عند نفسه وأحدة. وقد قيل انه جعله سبع نسخ، ووجّه من ذلك أيضا نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين. والأول أصح وعليه الأئمة".(١)

ويمكن تلخيص هذا المبحث من خلال حديث زيد بن ثابت ﷺ: كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع، إذ قال رسول الله: "طوبى للشام، فقلنا: لأي شيء ذاك؟ فقال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم".(٢) قال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة وأحدة، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله ، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو في ترتيب السور، كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان م أجمعين".(٣)

المبحث الثالث: ما أثاره المستشرقون من شبهات حول جمع القرآن الكريم والرد عليها

أثار المستشرقون جملة من الشبهات والمطاعن في جمع القرآن الكريم ليصلوا من خلالها إلى أن القرآن الكريم لم ينج من التحريف بالزيادة والنقصان، مماثلا بذلك التوراة والإنجيل اللذين طالتهما أياد عابثة جعلتهما كأي كتاب من تأليف البشر لا خصوصية له ولا قدسية. وسأورد في الصفحات التالية من البحث بعض تلك المطاعن والشبهات التي أثاروها، مرتبة تريبا منطقيا وفقا لوفاة أصحابها، يتلوها الرد عليها إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: شبهة جارسان دي تاسي(٤) وإجنتس جولدزيهر(١)

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ط: مكتبة الكليات الأزهرية–القاهرة: ١٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، (٢٩٠١): ٢٤٩/٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٢٤٩/٢.

(٤) مستشرق فرنسي (١٧٩٤–١٨٧٨)، تعلم مبادئ العربية في مطلع شبابه. وتتلمذ على سيلفستر دي ساسي. بدا بدراسة اللغتين العربية والفارسية، ثم تخصص بعد ذلك في اللغة الهندوستانية، وقد أنشئ له كرسي لتدريس اللغة

نقل زيهر في كتابه مصادر القرآن ما زعمه تاسي، من وقوع زيادة ونقصان في القرآن إبان جمعه، واستدل على ذلك بإنكار عبد الله بن مسعود ﷺ لما فعله عثمان ﷺ، وغضب ابن مسعود الشديد لعدم مشاركته في اللجنة الرباعية التي اختارها عثمان لجمع المصحف، وقوله عن زيد بأنه كان في صلب أبيه الكافر، حين كان هو مسلما. ومنها إنكار نقل القرآن بالتواتر والدليل على ذلك عند تتبع زيد للقرآن لم يجد آية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ .[٢] إلا عند خزيمة بن ثابت الأنصاري، فلو كان القرآن متواترا لوجد هذه الآية عند الآخرين أيضا.[٣]

أما غضب ابن مسعود ﷺ ومعارضته فإنه لم يكن بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص وزيادة، وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة نسخ المصاحف، " ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبدالله بن مسعود في جمع القرآن وعبدالله أفضل من زيد وأقدم في الإسلام وأكثر سوابق وأعظم فضائل، إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبدالله، إذ وعاه كله ورسول الله حي، والذي حفظ منه عبدالله في حياة رسول الله نيف وسبعين سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله حي أولى بجمع المصحف وأحق

الهندوستانية في مدرسة اللغات الشرقية الحية في ١٨٢٨، وظل يشغله حتى وفاته. اختير عضوا في أكاديمية النقوش والآداب في ١٨٣٨، وصار رئيسا للجمعية الآسيوية الفرنسية. كانت بدايته بتحقيق رسالة صغيرة في التصوف، هي كشف الأسرار، لعز الدين بن قاسم المقدسي، وترجمها إلى الفرنسية معلقا عليها. من مؤلفاته: بحث في أسماء الأعلام والألقاب الإسلامية، الشعر الفلسفي والديني عند الفرس، البلاغة والعروض في لغات الشرق، الإسلام وفقا للقرآن التعليم العقدي والممارسة العملية. يُنظر: موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ط:٣، دار العلم للملايين–بيروت، ١٩٩٣م: ١٦٥–١٦٦.

(١) مستشرق مجري يهودي (١٨٥٠–١٩٢١)، منهجه استدلالي لا استقرائي، بدأ اهتمامه بالدراسات الشرقية في الثانية عشرة من عمره، ونال الدكتوراه في الدراسات الشرقية ١٨٧٠، وعين أستاذا في جامعة بودابست، انتخب عضوا مراسلا للأكاديمية المجرية ١٨٧١، ثم رئيسا لأحد أقسامها ١٩٠٧. حضر العديد من المؤتمرات الاستشراقية ويقدر عدد أبحاثه بـ (٥٩٢) بحثا. من مؤلفاته: الظاهرية مذهبهم وتاريخهم، دراسات إسلامية، محاضرات في الإسلام، ومذاهب التفسير الإسلامي. يُنظر: موسوعة المستشرقين: ١٩٧–٢٠٣.

(٢) سورة الأحزاب: من الآية ٢٣.

(٣) يُنظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، أجنتس جولدزيهر، ترجمة: علي حسن عبد القادر، ط:١، مطبعة العلوم، ١٣٦٣هـ–١٩٩٤م:٨؛ وآراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، د. عمر إبراهيم رضوان، ط:١، دار طيبة–الرياض، ٤٦٣/١.

بالإيثار والاختيار. ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنا على عبدالله بن مسعود لأن زيدا إذا كان أحفظ للقرآن منه، فليس ذلك موجبا لتقدمه عليه؛ لأن أبا بكر وعمر ما كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيرا منهما ولا مساويا لهما في الفضائل والمناقب. فحسن اختيار أصحاب رسول الله لمن أسندوا إليه جمع القرآن واضح، والّذي لحق عبد الله ابن مسعود من الغضب، وما أبداه من الإنكار غير معول عليه، ولا مأخوذ به، لأنهم كانوا يرجعون عنه إذا رضوا ".[١]

رد د. صبحي الصالح على من أنكر نقل القرآن بالتواتر بناء على قول زيد بن ثابتﷺ: " حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري..."، قائلا: " ويزول هذا الإشكال سريعا إذا علم القارئ أن غرض زيد أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة، وقد كان ذلك كافيا لقبوله إياها؛ لأن كثيرا من الصحابة كانوا يحفظونها، ولأن زيدا نفسه كان يحفظها، ولكنه أراد –ورعا منه واحتياطًا– أن يشفع الحفظ بالكتابة، وظل ناهجا هذا النهج في سائر القرآن الذي تتبعه".[٢]

واحتج مستشرقون آخرون بأن ابن مسعود لم يكن يثبت الفاتحة والمعوذتين في مصحفه؛ لكونه منكرا قرآنيتهما.

إن الرأي المنسوب إلى ابن مسعود ﷺ باطل من أساسه، وقد رفضه علماء المسلمين رفضا قاطعا، قال الباقلاني: " ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا، لكانت الصحابة تناظره على ذلك، وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من هذا، وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة في الاجماع المتقرر، والاتفاق المعروف؟ " [٣] أما ابن حزم فإنه يقول مدافعا عن ابن

---

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط:١، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م: ٤/٣٢٧–٣٢٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٧٥.

(٣) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط:٥، دار المعارف–مصر، ١٩٩٧م: ٨٧، ٢٩٢.

مسعود ﷺ: "وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح؛ وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتين".[١] ولابد من ذكر ما قاله الإمام فخر الدين الرازي: " نقل في الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة من القرآن، وكان ينكر كون المعوذتين من القرآن، واعلم أن هذا في غاية الصعوبة، لأنا إن قلنا إن النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن فحينئذ كان ابن مسعود عالما بذلك فإنكاره يوجب الكفر أو نقصان العقل، وإن قلنا إن النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلا في ذلك الزمان فهذا يقتضي أن يقال إن نقل القرآن ليس بمتواتر في الأصل وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة يقينية، والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل كاذب باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة".[٢] أما الإمام النووي فيقول جازما: " أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن وأن من جحد شيئا منه كفر وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه. [٣]

فضلا عن أنّ النبي كان يقرأ سورة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلوات المكتوبة والنوافل، وصلى الصحابة وراءه في حياته وتعلموها منه، ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي قال: " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج" ثلاثا (غير تمام). فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: " اقرأ بها في نفسك"؛ فإني سمعت رسول الله يقول: " قال الله ﷻ: قُسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾، قال: مجدني عبدي -وقال مرة فوض إلي عبدي-، فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط

---

(١) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، ط: دار الفكر-بيروت: ٣٢/١.

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط:٣، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ١٤٢٠هـ: ١٩٠/١.

(٣) المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، ط: دار الفكر: ٣٩٦/٣.

الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ". [1] فلا يُعقَلُ أن يخفى على ابن مسعود ﷺ أنها من القرآن.

المطلب الثاني: شبهة غوستاف فايل [2]

زعم فايل أن أبا بكر وعمر ما حذفا من القرآن كل المواضع التي ناهض فيها رسول الله بني أُمية.

شبهة فايل هذه رد عليها نولدكة[3] قائلا: " لم يقدم فايل أي دليل على صحة هذا الزعم، أو ما يفسره ...، وتشير التفاسير إلى أن بعض المواضع في النص الحالي تتناول بعض أفراد بني أمية، ولم يكن بنو أمية على الأقل في تلك الفترة أكثر عداء لمحمد من أسر وجيهة أخرى، ومن جهة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، (٣٩٥). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي–بيروت: ٢٩٦/١، ٢٩٧.

(٢) مستشرق ألماني يهودي (١٨٠٨–١٨٨٩)، أدخله جده الحاخام الأكبر للمجمع الإسرائيلي، مدرسة تلمودية عبرية، ثم التحق بجامعة هيدلبرج ليدرس اللاهوت ثم عافه إلى الدراسات التاريخية واللغة العربية، ثم سافر إلى الجزائر ومنها إلى مصر حيث قام بالتدريس في مدارسها الحكومية، وبالترجمة، ثم سافر إلى تركيا ومنها عاد إلى هيدلبرج، حيث عين أمينا لمكتبة جامعتها، ثم أستاذا مساعدا للغات الشرقية، وحاز كرسي الدراسات الشرقية. من مؤلفاته: ترجمة ألمانية لأطواق الذهب للزمخشري، النبي محمد حياته ومذهبه، ترجمة السيرة لابن اساق برواية ابن هشام، مقدمة تاريخية نقدية للقرآن، تاريخ الخلفاء، وموجز تاريخ شعوب الإسلام. يُنظر: موسوعة المستشرقين: ٣٩٠–٣٩١.

(٣) شيخ المستشرقين، ألماني (١٨٣٦–١٩٣٠)، التحق بجامعة جيتنجن ١١٨٥٣، ودرس اللغة العربية والعبرية والسامية، ثم درس اللغة الآرامية والسنسكريتية والتركية والفارسية، وحاز فيها الدكتوراه ١٨٥٦ عن كتابه تاريخ القرآن، وبدأ بعدها التنقل خارج ألمانيا، فذهب إلى فيينا وليدن وعكف على قراءة المخطوطات العربية، ثم عاد إلى جوتا ومنها إلى برلين التي عين مساعدا في مكتبتها، وتعرف في رحلاته تلك إلى أقرانه من المستشرقين، ولم يرحل مطلقا إلى البلاد العربية والإسلامية. عاد بعد ذلك إلى جامعة جيتنجن مساعدا لمكتبتها ثم معيدا يلقي دروسا في تفسير سفر أشعيا، واهتم كثيرا بدراسة الشعر الجاهلي، ثم بالنحو العربي والنحو المقارن للغات السامية، كما عين أستاذا للغات السامية في جامعة كيل ثم في جامعة أشتراسبورغ التي بقي فيها خمسين عاما حتى تقاعده ١٩٠٦، واستمر بإلقاء بعض المحاضرات بعد تقاعده. ألف كتابين هما: نحو اللغة العربية الفصحى، وأبحاث عن علم اللغات السامية. يُنظر: موسوعة المستشرقين: ٥٩٥–٥٩٨.

أخرى كان هناك أعداء كثيرون للدعوة، فكان على هذا أن تكون أسماؤهم موجودة في القرآن وحذفت كاليهود مثلا، ولم يذكر القرآن غير اسم محمد، وزيد، وأبي لهب".[١]

إنّ الصحابة لم يحذفوا سورة المسد رغم أن الله ﷻ ذكر فيها أبا لهب وهو عم النبي ﷺ، وهي أولى بالحذف مما يزعم فايل أنه يناهض بني أمية. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أحدا لا يجرؤ على حذف شيء من القرآن والصحابة يحفظونه في صدورهم، فكيف يكون ذلك لأبي بكر وعمر ما، وهما اللذان لا يخفى حرصهما على كتاب الله، وحماية دينه.

المطلب الثالث: شبهات وليم موير[٢] وثيودور نولدكة

تلخصت شبهة موير في التشكيك بترتيب القرآن الكريم على النحو الذي وصل إلينا، وهو ذاته ما أثاره ثيودور نولدكة، الذي قام بترتيب سور القرآن ترتيبا موضوعيا وأسلوبيا وتاريخيا، فقسمه إلى قسمين: المكي الذي تغلب عليه الخيالات الشعرية بحسب زعمه، والمدني الذي يغلب عليه أسلوب النثر المطول، ثم قسم السور المكية على ثلاثة أقسام بحسب عدد آياتها، وترتيبه هذا يختلف عن ترتيب موير الذي قسم الفترة المكية على خمس مراحل.[٣]

إنّ الأمة الإسلامية كلها أجمعت على أنّ ترتيب القرآن الكريم على النحو الذي هو عليه في المصاحف ترتيب توقيفي من النبي عن الله ﷻ، وليس لأحد أن يغيره أو يبدله باجتهاده.[٤] والدليل

(١) يُنظر: تاريخ القرآن، ثيودور نولدكة، تعديل: فريدريش شفالي، ترجمة د. جورج تامر، ط:٤، دار جورج ألمز-هيلدسهايم-زوريخ-نيويورك، ٢٠٠٠م: ١/٣١٧-٣١٨.

(٢) مستشرق ومبشر وموظف إداري إنكليزي (١٨١٩-١٩٠٥)، اشتغل في شركة الهند الشرقية قرابة ٤٠ سنة، فصار السكرتير الخارجي لحكومة الهند ١٨٦٥، ونائب الحكومة للولايات الشمالية الغربية ١٨٦٨، فتعلم العربية وعني بالتاريخ الإسلامي، لكنه كان شديد التعصب للمسيحية، فاشترك بأعمال البعثة التبشيرية في مدينة أجرا، وخاض معركة التبشير بكتاب (شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية)، فترجمه إلى الأوردية، وحاول أن يبين بأن على المسلمين الإقرار بصحة الكتاب المقدس بنصه الحالي، فتصدى له من السنة رحمة الله الهندي بكتابه إظهار الحق، ومحمد هادي اللكنوي من الشيعة، ثم كتب موير سيرة النبي ﷺ بروح متعصبة خالية من الموضوعية لأغراض تبشيرية في كتاب ضخم سماه: حياة محمد وتاريخ الإسلام، ثم كتاب الخلافة نشأتها وانحلالها وسقوطها، ثم أصدر كتاب القرآن تأليفه وتعاليمه، والجدال مع الإسلام. ثم تولى إدارة جامعة أدنبرة من ١٨٨٥-١٩٠٣. يُنظر: موسوعة المستشرقين: ٥٧٨-٥٧٩.

(٣) يُنظر: تاريخ القرآن، نولدكة: ١/٦٣-٦٧.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ١/٢١٢.

على ذلك قوله : " أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] " [2] ، وهذا الحديث يُستدَلُّ به على أن ترتيب آيات القرآن توقيفي. أما ترتيب السور فقد ذهب الجمهور إلى أنه توقيفي، ولو كان خلاف ذلك لما اتفقت الأمة على هذا الترتيب الذي كان عليه المصحف الإمام حتى يومنا هذا.

فضلا عن ذلك فإن القرآن معجز تحدى به الله ﷻ أن يأتوا بمثله، ولا علم لهم به، وهو غير خاضع لترتيب معين، بل إنّ ترتيبه تاريخيا أو موضوعيا أو أسلوبيا يجعله مماثلا لكتب التاريخ، وليس كذلك ، بل هو كتاب كامل شامل يضم أحكاما وتشريعات صالحة لكل زمان ومكان، وبناء على ذلك فإن ترتيبه لا يخضع لما تخضع له كتب التاريخ التي جرت العادة على ترتيبها موضوعيا أو تاريخيا.[3]

المطلب الرابع: شبهات بول كازانوفا [4]

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده بإسناد حسن من حديث عثمان بن أبي العاص، (١٧٩١٨). مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، ط:١ مؤسسة الرسالة–بيروت، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م: ٤٤١/٢٩.

(٣) يُنظر: تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولدكة ترجمة وقراءة نقدية، د. رضا محمد الدقيقي، ط:٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية–قطر بالتعاون مع دار النوادر–الكويت، ١٤٣٢هـ–٢٠١١م: ٢٢١/١؛ وموقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم وكتابته، محمد رشيد زاهد، مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الرابع، ديسمبر–٢٠٠٧م: ١٢١–١٤٤.

(٤) مستشرق فرنسي، ولد في الجزائر ١٨٦١، وتوفي في القاهرة ١٩٢٦. درس بمدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، وعين أمينا لقسم النقود الشرقية ثم مدرسا للعربية وآدابها بجامعة فرنسا ١٩٠٩، سافر إلى مصر ثلاث مرات: الأولى ١٨٨٩ ليكتب بحثا عن قلعة القاهرة، والثانية ١٨٩٢–١٩٠٩ ليعمل مساعدا لمدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، وفي ١٩٢٥ انتدب لتدريس الأدب العربيّ في الجامعة المصرية، حيث ألقى محاضرات بالعربية عن العلاقة بين الأدبين العربيّ والغربي. مما ترجمه إلى الفرنسية كلام ابن خلدون عن البربر، وفصول من خطط المقريزي في وصف مصر، وصنف كتاب محمد ونهاية العالم بالفرنسية، وكتب أبحاثا عن النقود الإسلامية وآلات

يذهب كازانوفا إلى أن النبي لم يحدد للمسلمين الطريقة التي تنتقل بها السلطة من بعده إلى غيره من المسلمين، لأنه كان يؤمن بأنه لا حاجة لذلك، لأن كل شيء سينتهي بقيام القيامة في حياته ظنّا منه بأنه من بشّر المسيح عليه السلام بظهوره عند نهاية العالم.(١) ويضيف كازانوفا في الكتاب نفسه بأنه يشك في صحة نسبة آيتين إلى الوحي النبوي، ويُرجِّح أنّ أبا بكر هو الذي أضافهما إثر موت النبي، فأقره المسلمون على ذلك وهما قول الله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.(٢) وقوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.(٣)

رغم قول النبي : " بُعثت أنا والساعة كهاتين" (يعني إصبعين).(٤) إلّا أنّه يعني أن لا نبي بعده حتى قيام الساعة، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم ".(٥) ولا معنى للحديث غير هذا، فقد تحدث القرآن عن عالمية الإسلام وأن محمدا رسول إلى الناس جميعا، فلا يُعقلُ أن تقوم الساعة في حياة النبي والإسلام لم ينتشر في كل الآفاق. وكيف لم تثر فتنة وتنازع بين المسلمين حين رأوا أن نبيهم الذي أكد لهم قيام الساعة قبل موته قد مات دون أن تقوم الساعة؟. (٦) " كما أنّ الرسول ﷺ لو كان يعتقد أن الساعة ستقوم في زمانه وقبل وفاته لما تجشم الصعاب لبناء دولة عظيمة كانت لها مكانتها في العالم، ولما أعد تلك التشريعات التي تنظم الأمور الدنيوية للمسلمين، ولما

الرصد عند العرب، ومكاييلهم وموازينهم، بالفرنسية. يُنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط:١٥، دار العلم للملايين–لبنان، ٢٠٠٢م: ٧٨/٢.

(١) محمد ونهاية العالم للمستشرق الفرنسي بول كازانوفا عرض ومناقشة، د. إبراهيم عوض، ط: مكتبة الشيخ أحمد–القاهرة، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م: ٧.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٤٤.

(٣) سورة الزمر: الآيتان ٣٠–٣١.

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه تابعه إسرائيل عن أبي حصين، باب: قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، (٦٥٠٥): ١٠٦/٨.

(٥) أخرجه البخاري، باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل، (٣٤٥٥): ١٦٩/٤.

(٦) محمد ونهاية العالم عرض ودراسة: ١٠

حث أصحابه وأمته على العمل والعبادة، ولما تنبأ لهم بالفتح المبين الذي سيحرزونه على الأمم المجاورة لهم، ولما حثهم على العمل في دنياهم كأنهم سيعيشون أبدا. ويضاف إلى ذلك أن بلاشير[١] نفسه رفض رأي كازانوفا فيما يتعلق باعتقاد الرسول بقيام الساعة في حال حياته لعدم اعتماده على أدلة علمية وقوية من جهة، ولأن الرسول لما استقر بالمدينة أصبح يدعو إلى العبادات والمعاملات وتنظيم العلاقات التي يجب أن تسود بين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى، كما أن انتشار الإسلام في الجزيرة العربية فرض على المسلمين منذ عصر النبوة أن يفكروا في الحياة الدنيا إلى جانب التفكير في الآخرة. [٢]

أما ما ذهب إليه كازانوفا في نسبة الآيتين إلى أبي بكر الذي أضافهما إلى القرآن على إثر موت النبي وإقرار المسلمين له على ذلك فهو قول مردود، فمما روي في سبب نزول الآية الكريمة الأولى، أنها نزلت بسبب انهزام المسلمين يوم أحد. وظن أن الرسول قد قتل، فصاح بعض المسلمين إن محمدا قد أصيب فيجب عليهم الاستسلام لعدوهم لأنهم إخوانهم. وصاح بعضهم الآخر: أنه يجب الاستمرار في القتال حتى بعد وفاة النبي إذ لا خير في الحياة بعده، فأنزل الله هذه الآية. كما أن الرسول ﷺ بعد أن لحق بالرفيق الأعلى، ارتج على المسلمين واضطربوا اضطرابا عظيما بين مصدق ومكذب، فبعضهم يقول: إنه أخذ ببعض ما كان يأخذه عند الوحي، وبعضهم يقول: إن الرسول ﷺ لا يموت حتى يقضي على المنافقين ولا يحدث حتى يقطع أيديهم وأرجلهم، وكان عمر بن الخطاب ﷺ من أكثر المشككين في موت الرسول ﷺ. وعندما قدم أبو بكر ﷺ وكشف عن وجه

(١) مستشرق فرنسي(١٩٠٠-١٩٧٣)، سافر مع والديه إلى المغرب ١٩١٥، وتخرج في جامعة الجزائر ١٩٢٢، وحصل على الدكتوراه من جامعة باريس ١٩٣٦عن رسالتين، الأولى عن أبي الطيب المتنبي، والثانية ترجمة لكتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسي، فعين في إثر ذلك أستاذا للغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس إلى ١٩٥٠، ثم شغل كرسي اللغة والأدب العربيين في السوربون حتى تقاعده ١٩٧٠، وشغل قبل ذلك منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية الملحق بجامعة باريس، كما انتخب عضوا في جمعية النقوش ١٩٧٢. من مؤلفاته: تاريخ الأدب العربي، وترجمة القرآن إلى الفرنسية ورتب سوره على حسب ظنه، كما ألف كتابا صغيرا لخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة محمد. يُنظر: موسوعة المستشرقين: ١٢٧.

(٢) يُنظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (القرآن والمستشرقون)، التهامي نقرة، ط: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس، ١٩٨٥م: ١/٤٣-٤٤.

الرسول ﷺ، وتحقق من موته جمع الناس وتلا عليهم الآية المذكورة فرجع الناس إلى رشدهم وعلق عمر ﷺ على ذلك بقوله: فلكأني لم أقرأها إلا يومئذ. (١)

أما بالنسبة إلى الآية الثانية فقد نزلت بالمدينة، تعني إبلاغ النبي بأنه سيموت هو الآخر كما تموت بقية الخلق. لا تمييز في ذلك؛ لأن كل نفس ذائقة الموت وهو تحذير له من الآخرة، وحثّ له على العمل الصالح والتقوى خاصة أن الخطاب الذي يوجه إليه موجه إلى بقية المسلمين، إلا إذا كان من خصوصياته، وإبلاغه بموته حتى لا تختلف أمته بعد وفاته، كما اختلفت الأمم الأخرى في غيره قطعا لدابر الفتنة والشك وقد أوشك حصول ذلك بعد وفاته لولا تدخل أبي بكر بتلاوتها واحتجاجه بها على صحة وفاته. ولو كانت الآيتان السابقتان من اختراع أبي بكر فكيف يسكت المسلمون على ذلك ويوافقونه على هذا التزوير المتعمد، وهم أشد خلق الله تمسكا بكتابه؟ ونحن نعلم جميعا حرص أبي بكر على القرآن وعدم تبديل أو تعديل ما اتخذه الرسول من قرارات سياسية أو دينية، أو اقتصادية، وخشيته من القيام بعمل لم يأمر به الرسول وفزعه الشديد عندما عرض عليه عمر ﷺ جمع القرآن في مصحف وأحد وإجابته له: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ وهو ﷺ الذي قال حين سئل عن (الأبِّ): "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم"(٢). (٣)

المطلب الخامس: شبهات بلاشير

يرى بلاشير إلى أنّ المرحلة الأولى لتدوين القرآن الكريم بدأت في أواخر الدعوة الإسلامية أي أن المرحلة المكية لم تشهد كتابة ما كان ينزل على النبي من الوحي، بل كان الاعتماد على نقل ما يحفظه الصحابة وقد كان لمعرفتهم بنصوص التوراة التي كانت لدى اليهود والإنجيل الذي كان بين يدي نصارى نجران والحبشة أثر في ذلك نتيجة للعلاقات التجارية التي تربطهم فلم يشعروا مباشرة بضرورة تدوين الرسالة الجديدة، وإن هذا التدوين كان ناشئا عن تحمس شخصي من البعض دون إلزام من النبي بذلك. وهو تدوين جزئي ومثار للاختلاف؛ لعدم ثبات المواد والطرائق المستعملة له

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/٢٢١-٢٢٣.

(٢) وهذا منقطع. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ: ٦/٢٩٦.

(٣) يُنظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (القرآن والمستشرقون): ١/٤٣-٤٤.

كالجلود واللخاف، مما يسيء إلى تذكر ما كان يشق على محمد وأصحابه خاصة، وينبغي أن نضع فكرة التأثرات الألفية التي اقترحها كازانوفا. أما المرحلة الثانية فقد بدأت بوفاة النبي، حين قام أبو بكر نفسه بدور كبير في قمع المرتدين شرقي الجزيرة، وقُتِل حينئذ عدد من الحفاظ، فبادر الخليفة إلى تكوين مصحف يضم المجموعات الفردية، إلا أن ذلك النص المجموع بقي ذا طابع شخصي. أما الخطوة الحاسمة فقد جاءت بعد عشرين عاما على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي قام بجمع القرآن على أساس مصحف أبي بكر، وضم إليه مقطوعات مبعثرة أو محفوظة غيبا فقط، فأخرج في نهاية الأمر مصحفا رسميا بديلا عن كل المصاحف الخاصة التي أتلفها وهتك قدسيتها. ورغم ذلك فلم يكن مصحفه مكتملا في جوانب كثيرة، منها: الخط البدائي المستخدم فيه. وقد واجهت مصحف عثمان مشكلة جديدة بعد مقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب من حيث الاجتهادات المتعلقة بشرعية الخلافة التي أثارتها شيعة علي، فقالوا بوجود تعديل في بعض سور القرآن في مصحف عبد الله ابن مسعود، بما لا يتفق مع مصحف عثمان، وقد بقي ما يشهد على وجوده في الكوفة حتى القرن العاشر. وهنا تبدأ المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ المصحف بظهور الأمويين، ففي خلافة عبد الملك بن مروان، وبناء على رغبة الحجاج بن يوسف، والي العراق تم نسخ مصاحف جديدة. [1]

لم يستند بلاشير في قوله بعدم تدوين المصحف في مكة إلى دليل علمي، بل إن كتابة الوحي بدأت في مكة؛ لوجود من يجيد القراءة والكتابة من الصحابة. ويؤكد المؤرخون أن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبا عبيدة بن الجراح، وطلحة كانوا يتقنون القراءة والكتابة.[2] وقد تواترت الأخبار أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كتب الوحي للنبي ﷺ وهو في

(١) يُنظر: القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، ريجي بلاشير، ترجمة: رضا سعادة، تحقيق: محمد علي الزعبي، ط:١، دار الكتاب اللبناني–بيروت، ١٩٧٤م: ٢٣–٣٣.

(٢) فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، ط: دار ومكتبة الهلال–بيروت، ١٩٨٨م:

مكة.[١] كما ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب أنه سمع قرآنا يُتلى في بيت أخته من صحيفة كانت لديها. [٢]

أما قول بلاشير بعدم دقة التدوين وصعوبة تذكره بسبب سوء المواد والطرائق المستخدمة فهو مردود كذلك لما ورد ذكره سابقا من كيفية تدوين القرآن وترتيبه وكتابته، فقد حرص النبي ﷺ على مراجعة ما يدونه الكتبة ويأمرهم بوضع الآيات في مكانها الصحيح، ويقرأ على أصحابه فيحفظون حتى أتقنوا حفظه مرتبا وصار ذلك متواترا لديهم. ولم ينقص شيء من ذلك المحفوظ والمكتوب ولا ينقص هذا الحكم مقولة من استدل بفقدان آية من سورة براءة ولم توجد إلا عن خزيمة بن ثابت، ومنها قولهم بضياع آيات آخر مماثلة لهذه الآية والدليل على ذلك أن جميع الآيات الأخرى وجدت إما محفوظة في الصدور، أو مكتوبة في الرقاع، ولولا تتبعهم الدقيق وبحثهم الدؤوب لما وجدو هذه الآية المفقودة عند خزيمة بن ثابت، هذا دليل أكيد أنه لم يفقد من القرآن ولو آية. [٣]

أما قول بلاشير إن مشكلة وحدة النص القرآني زادت تعقيدا بعد اغتيال علي بن أبي طالب ﷺ، حيث ادعت شيعته بأن جمع القرآن أسقط منه الآيات التي تنص على توليه الخلافة دون سواه. فهو قول لا دليل عليه وقد سبقه إليه جولد زيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي، وجارسان دي تاسي، ويكفي لرده ما قاله عقلاء علمائهم من مفسري القرآن الذين رفضوا ذلك وتبرأوا منه ويقول في هذا الصدد: " أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها، وأما النقصان فهو أشد استحالة، ثم قال: إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله، وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء في الوجود؛ لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من تفسيره، وأحكامه، وإعرابه،

---

(١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٤/١؛ ودائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، د. إبراهيم عوض، ط:١، مكتب البلد الأمين–القاهرة، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م: ٨.

(٢) يُنظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، ط:٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده–القاهرة، ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م: ٣٤٣/١–٣٤٦.

(٣) نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، د. ساسي سالم الحاج، ط:١، دار المدار الإسلامي–بيروت، ٢٠١١م: ٣١٩/١.

وقراءاته، ورسمه، وضبطه وعدد حروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد". [١]

ثم إن الإمام علي قد أشاد بالخليفتين أبي بكر وعثمان ما لجمعهما القرآن في مصحف وأحد وأثنى عليهما، ودافع عنهما، ولو كان في ذلك الجمع زيادة أو نقصان لأشار إليها ونددبها ولتفاداها عندما أصبح خليفة للمسلمين. أما قول بلاشير باتهام عبد الملك بن مروان وفقا للأهواء السياسية وتنفيذا لأمر الحجاج باستحداث مصاحف جديدة، فإن كل ما رواه لنا التاريخ أن الخليفة الأموي رأى اتساع رقعة الإسلام واختلاط العرب بالعجم وتفشي اللحن وبدء اللبس والإشكال في قراءة القرآن يلح بالناس حتى يشق على الغالبية منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته، وهي غير معجمة، عندها ندب الحجاج نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن عمر العدواني، فأعجما المصحف، ونقطا جميع حروفه المتشابهة، والتزما ألّا تزيد النقط في أي حرف على ثلاث حتى شاع ذلك بين الناس وحتى زال الإشكال واللبس من المصحف الشريف[٢].

الخاتمة

تناول في هذا البحث أبرز ما أورده المستشرقون من شبهات ومطاعن في جمع القرآن الكريم المحفوظ في الصدور والمكتوب في السطور.

وقد تم قبل ذلك عرض ما قام به الرسول ﷺ من جهد عظيم بإملائه الوحي على كتبته ومراجعته وعرضه على المسلمين قبل وفاته في صحف متفرقة كانت مودعة في بيوت أمهات المؤمنين فضلا عمّا خطّه الصحابة لأنفسهم، ثم ما قام به أبو بكر الصديق ﷺ حين جمع القرآن في مصحف وأحد لكيلا يضيع بموت حفاظه، ثم توحيد المسلمين على مصحف وأحد على يد عثمان بن عفان ﷺ وإرسال نسخ منه إلى الأمصار مع أحد القرّاء؛ لئلا يختلف المسلمون في قراءته ويقتتلوا.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط:١، دار العلوم-بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٤/١.

(٢) يُنظر: مناهل العرفان: ٣٣٢/١.

وجاء أخيرا الرد على شبهات المستشرقين وطعونهم بأسلوب علمي يستند إلى الروايات الصحيحة، والمناقشة التي لا تبتغي إلا وضع الحق في نصابه.

وقد بدا واضحا في ثنايا البحث أنّ المستشرقين قد عمدوا في أغلب دراساتهم عن الروايات الضعيفة السند والآراء المرجوحة، كما حال انتماؤهم إلى الديانتين اليهودية والمسيحية، وانتسابهم إلى البيئة الغربية التي تختلف عن بيئة الجزيرة العربية، دون استيعاب تلك الفروق التي بين البيئتين، فضلا عن أن كثيرا منهم عمد إلى تبنّي آراء مسبقة وإسقاطها على القرآن وعلى النبي ﷺ عنوة. فبنوا كثيرا من استنتاجاتهم على أسس يغيب عنها البحث العلمي والتحليل المنطقي.

أمّا في الجانب الآخر فقد تجلّى العمل الدؤوب بالبحث والتدقيق والتمحيص لدى المسلمين الأوائل، الذين بذلوا أقصى ما في وسعهم في جمع القرآن الكريم على أعلى مستويات الضبط؛ فسلكوا لأجل بلوغ تلك الغاية العظيمة المنهج العلمي المتجرد، للوصول بالمصحف إلى ما هو بين يدينا اليوم منقولا عن رسول الله ﷺ كما أخذه عن الروح الأمين عليه السلام عن رب العالمين ﷻ دون تغيير أو تبديل أو تحريف بزيادة أو نقصان، على مدى ما يزيد على أربعة عشر قرنا، متفردا بذلك عما سبقه من الكتب السماوية مصداقا لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[1]

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط:١٥، دار العلم للملايين-لبنان، ٢٠٠٢م.

٣. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط:٥، دار المعارف-مصر، ١٩٩٧م.

٤. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط:١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

٥. الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، ط١، دار ابن حزم–بيروت، ٢٠٠١م.

٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:١، دار هجر–الجيزة، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

٧. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م.

٨. تاريخ القرآن، ثيودور نولدكة، تعديل: فريدريش شفالي، ترجمة د. جورج تامر، ط:٤، دار جورج ألمز–هيلدسهايم–زوريخ–نيويورك، ٢٠٠٠م.

٩. تاريخ القرآن، المستشرق ثيودور نولدكة ترجمة وقراءة نقدية، د. رضا محمد الدقيقي، ط:٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية–قطر بالتعاون مع دار النوادر–الكويت، ١٤٣٢هـ–٢٠١١م.

١٠. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ)، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط:١، مكتبة السنة–القاهرة، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠ م.

١٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:٢، دار الكتب المصرية–القاهرة، ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م.

١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد له البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٤. الجراثيم، يُنسَب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، ط: وزارة الثقافة–دمشق.

١٥. دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية،د.إبراهيم عوض،ط١،مكتب البلد الأمين–القاهرة، ١٩٩٨م.

١٦. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، ط:١، دار الهلال–بيروت.

١٧. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية.

١٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

١٩. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، ط:٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده–القاهرة، ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م.

٢٠. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال–بيروت.

٢١. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، ط:١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية–القاهرة، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م:.

٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة–بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٣. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، دار الهلال–بيروت.

٢٤. القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، ريجي بلاشير، ترجمة: رضا سعادة، تحقيق: محمد علي الزعبي، ط:١، دار الكتاب اللبناني–بيروت، ١٩٧٤م.

٢٥. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط:٢٤، دار العلم للملايين–لبنان، ٢٠٠٠م: ٧٧؛ ويُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط:١، دار الكتاب العربي–بيروت، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٢٦. مجمع البيان في تفسير القرآن،الفضل بن الحسن الطبرسي،ط١، دار العلوم–بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي–القاهرة، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

٢٨. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)،دار الفكر.

٢٩. المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، ط: دار الفكر–بيروت.

٣٠. محمد ونهاية العالم، المستشرق الفرنسي بول كازانوفا عرض ومناقشة، د. إبراهيم عوض، ط: مكتبة الشيخ أحمد–القاهرة، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م.

٣١. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط:١، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.

٣٢. المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، أجنتس جولدزيهر، ترجمة: علي حسن عبد القادر، ط:١، مطبعة العلوم، ١٣٦٣هـ–١٩٩٤م:٨؛ وآراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، د. عمر إبراهيم رضوان، ط:١، دار طيبة–الرياض.

٣٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

٣٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون، ط:١ مؤسسة الرسالة–بيروت، ٢٠٠١م.

٣٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

٣٦. المصاحف، أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، ط:١، الفاروق الحديثة–القاهرة، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

٣٧. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط:٢، المجلس العلمي–الهند، ١٤٠٣هـ.

٣٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط:٢، مكتبة ابن تيمية–القاهرة.

٣٩. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ط:٢، دار النفائس، ١٩٨٨م.

٤٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط:٣، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤١. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ط: مكتبة الكليات الأزهرية–القاهرة.

٤٢. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (القرآن والمستشرقون)، التهامي نقرة، ط: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم–تونس، ١٩٨٥م.

٤٣. موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ط:٣، دار العلم للملايين–بيروت، ١٩٩٣م.

٤٤. موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم وكتابته، محمد رشيد زاهد، مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الرابع، ديسمبر–٢٠٠٧م.

٤٥. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠هـ)، ط: المطبعة التجارية الكبرى.

٤٦. نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، د. ساسي سالم الحاج، ط:١، دار المدار الإسلامي–بيروت، ٢٠١١م.